Personification of discord In the rhetorical images of Nahj al-Balaghah

Lecturer. Diaa Ali Abdel Reda
The University of Basrah
College of Arts
E-mail: Alialdeer123455@gmail.com

Abstract:

Expressing truth has stages in Arabic statement . Expression ،with honesty was so frequent in the speech of Imam Ali (our hails to him) .

This is titled as (specific) in the holy Quran ; for this reason the expression for defining with reality with what has come of similarity and metaphor for quarrel making is about similarity noticed and known in Arabs in their daily lives . this gives a clear clarification for the for the diagnosis Of meanings required to be expressed with the utterances referring that the quarrel making for Imam Ali is a scence filled with the life and movement because quarrel making is found in women ،camel and tree . All these names that are known and fixed in human beings memory and feelings from Arabs at that time are witnesses with references. the portraits about them in similies and metaphor had to appear with diagnosed views that are lively and embodied that can not be suspected .

As really existent and repeated exemelified in reality . Because imams' pathway was practical in expressing as stated in his definition of knowledge work ،for this reason ،comes as a result of saying previously mentioned . this was shown in the research that discussed the item (quarrel making) as an example for study and a guide for the diagnosis of it's various references .

Thanksgiving to God (Lord of the universe) and may God pray to Mohammed and his good home .

Key words: Personification, Embodiment, likeness, Sensible, concept and authenticity.

التشخيص في الصور البلاغية للفتنة في نهج البلاغة

م .ضياء علي عبد الرضا
جامعة البصرة / كلية الآداب
E-mail: Alialdeer123455@gmail.com

المستخلص:

ان للتعبير عن الحقيقة في نهج القرآن الكريم والامام أمير المؤمنين (عليه السلام) مراحل في البيان العربي ، وكان التعبير بالمصداق هو الغالب في كلام الامام عليه السلام وهو ما يمكن الاصطلاح عليه عند اهل البحث في علوم القرآن بالمقيد ، ولهذا جاء التعبير للتعريف بالحقيقة في كل ما ورد من تشبيه واستعارة للفتنة يدور حول وجه الشبه المحسوس والمعلوم عند العرب في واقع حياتهم مما يعطي دلالة واضحة لتشخيص المعاني المراد التعبير عنها باللفظ الدال على ان الفتنة عند الامام هي مشهد نابض بالحياة والحركة فهي المرأة وهي الناقة وهي الشجرة ، وكل هذه المسميات المعلومة والراسخة في ذاكرة الانسان العربي ووجدانه آنذاك هي مصاديق ذات دلالات مشهودة ، وكان لابد ان تأتي الصور البلاغية عنها في التشبيه والاستعارة ذات مشاهد حية مشخصة ومجسدة لا يمكن الشك في حقيقة وجودها وحضورها الدائم في الواقع .

ولما كان نهج الامام عملياً في التعبير كما صرح في تعريفه للعلم ، فلا بد ان يأتي العمل نتيجة حتمية للقول . وهذا ما تبين واضحاً في البحث الذي تناول مفردة الفتنة مثالا للدراسة ودليلا على التشخيص لدلالاتها المختلفة . والحمد الله رب العالمين وصلى الله على محمد واهل بيته الطيبين الطاهرين.

الكلمات المفتاحية : التشخيص ، التجسيد ، وجه الشبه، المحسوس ، المفهوم والمصداق.

المقدمة:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله كما ينبغي أن يُحمد واتم الصلاة والسلام على رسوله محمد واهل بيته القرآن المقيد. اما بعد :

جاء بحث التشخيص في الصور البلاغية للفتنة في نهج البلاغة على مبحثين فكان الاول في الدلالة اللغوية والاصطلاحية للفتنة ثم الوقوف عند المفهوم والمصداق في خطب الامام وحكمه لما له من علاقة وثيقة في صور التشخيص الواردة في التشبيه والاستعارة بصفة خاصة .

وفي المبحث الثاني جاء تسليط الضوء على فنين من الفنون البلاغية الطاغية في كلام الامام عليه السلام وهما التشبيه والاستعارة ورصد عناصر التشبيه والاستعارة التي تدور حول الصور الحسية فيهما والتي ظهر في دراستها وجه الشبه الدال على صور حسيه ملموسه في واقع حياة العرب .

وقد اشار اليها البحث بما يتسع له مقامه من الأمثلة الكافية . وكان اختيار الفتنة مثالا حيا مناسبا للدراسة في هذا الموضوع الذي يبقى بحاجة الى الاحاطة بهِ بصورة وافية ان شاء الله .

وما هذا البحث سوى طرقة باب واسع يطول البحث فيه ولكن اخذ القليل خير من ترك الكثير، ولعل باحثا يلتفت اليه ويعطيه حقه الاوفى من البحث والدراسة في المستقبل القريب. والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد واله الطيبين الطاهرين .

الفتنة في اللغة:

جاء في العين : ((فتن فلان يفتن فهو فاتن اي مُفتنِ والفتون مصدره ، وهو اللازم ، ويقال فتنه غيره ، وانشد :

رخيم الكلام قطيع القيا مِ أمسى فؤادي بها فاتنا

أي مُفتتِنا.

والفَتن : احراق الشيء بالنار كالورق ((الفتين))أي المحترق ، وقوله تعالى : ((يوم هم على النار يُفتنون)) اي يُحَرَقون وكان أصحاب النبي ((صلى الله عليه وآله)) يُفتنون بدينهم أي يُعذَبون ليردَوا عن دينهم ، ومنه قوله تعالى : ((الفتنة أشد من القتل)).

والفتنة : ((ان يفتن الله قوماً أي يبتليهم)) [1]، وجاء في الصحاح :

((الفتنة : الامتحان والاختبار تقول : فتنتُ الذهب اذا ادخلته النار لتنظر ما جودته . ودينار مفتون ويُسمِى الصائغ الفتَان)) .

ويُقال للحرَة فتين كأن حجارتها مُحرقة وافتتن الرجل وفُتن فهو مفتون اذا اصابته فتنة فذهب ماله أو عقله ، وكذلك اذا أختبر .

والفتون أيضاً : الافتتان ، والفاتن : المُضلَ عن الحق . قال الفرَاء : أهل الحجاز يقولون: ما أنتم عليه بفاتنين ، وأهل نجد يقولون : بمفتنين من أفتن))[٢].

وقال الأزهري وغيره : ((جماع معنى الفتنة الابتلاء والامتحان والاختبار وأصلها مأخوذ من الفتن وهو اذابة الذهب والفضة بالنار لتمييز الرديء من الجيد))[٣].

وفي لسان العرب : ((الفتَان الشيطان و اللص الذي يعرض للرفقة في طريقهم .وجمع الفتَّان فُتَّان . فمن رواه بالفتح فهو واحد وهو الشيطان لا نه يفتن الناس عن الدين ومن رواه بالضم فهو جمع فاتن أي يعاون احدهم الاخر على الذين يُضلون الناسَ عن الحق ويفتنونهم، وفتّان من ابنية المبالغة في الفتنة ، ومن الاول قوله في الحديث : أفتّانٌ أنت يا معاذ؟))[٤].

وزاد الراغب ((ثم استعمل في ادخال الإنسان النار والعذاب ، وتارة يسمون ما يحصل عن العذاب فتنة فتستعمل فيه))[٥]

والمشهور عند معظم أهل اللغة ان المعنى الأول المقصود من الفتنة والاختبار والابتلاء والامتحان . وذهب بعضهم الى ((ان الفتنة أشد الاختبار وأبلغه))[٦] .

فالأصل اللغوي هو الامتحان لاكتشاف حقيقة الشيء وفي الحديث : ((المؤمن خُلقَ مُفتناً اي ممتحناً يمتحنه الله بالذنب ثم يتوب ثم يعود ثم يتوب من فتنتهِ اي امتحنتهُ ويُقال فيهما افتنتهُ ايضاً وهو قليل))[٧].

الفتنة اصطلاحا:

تعدّدَت دلالات الفتنة الاصطلاحية بتعدد وجوه تفسيرها الواردة في القرآن الكريم وفي الحديث الشريف واقوال الائمة المعصومين عليهم السلام وبعض العلماء والمفسرين . وقد اجمع العلماء والمفسرون على ان اصل الفتنة في الاصطلاح هو الابتلاء والاختبار والامتحان لكنهم اختلفوا في التعريف الاصطلاحي للفتنة وذلك على النحو الآتي :

اولا : عرّفها الزمخشري بقوله : ((الفتنة الامتحان بشدائد التكليف من مفارقة الأوطان ومجاهدة الأعداء ، وسائر الطاعات الشاقة وهجر الشهوات والملاذ ، وبالفقر والقحط وانواع المصائب في الأنفس والاموال ، وبمصابرة الكفار على اذاهم وكيدهم وضرارهم))[٨].

ثانيا : وعرف الراغب الاصفهاني الفتنة بقوله :

((والفتنة من الافعال التي تكون من الله تعالى ومن العبد كالبلية والمصيبة والقتل والعذاب وغير ذلك من الافعال الكريهة ، ومتى كان الله كان على وجه الحكمة ، ومتى كان الانسان بغير امر الله يكون بضد ذلك))[٩].

ثالثاً : وعرّفها الكاتب والناقد والمفسر سيد قطب – رحمه الله ((هي مجموعة من الابتلاءات والمشاق في التكاليف بقصد إعداد المسلم إعداداً حقيقياً لتحمّل الأمانة ولا يتم ذلك الأ بالاستعلاء الحقيقي على الشهوات والصبر الحقيقي على الآلام والثقة الحقيقية في نصر الله او في ثوابه على الرغم من طول الفتنة وشدة الابتلاء))[١٠].

رابعاً : يتعذّر تحديد تعريف اصطلاحي واحد للفتنة لِاحتمال هذه المفردة دلالاتٍ متعددة تصل الى حد التضاد ولكن ((جميع هذه المعاني تعود الى اصل واحد لأنه مع الاخذ بنظر الاعتبار ان معنى الأصل هو وضع الذهب في النار لتخلصه من الشوائب فلهذا أُستعملت في كل مورد يكون فيه نوع من الشدة ، مثل الامتحان الذي يقترن عادة بالشدة ويتزامن مع المشكلات ، والعذاب ايضاً نوع آخر من الشدة ، وكذلك المكر والخديعة التي تُتّخذ عادة بسبب أنواع الضغوط والشدائد ، وكذلك الشرك وايجاد المانع في طريق ايمان الناس حيث يتضمن كل ذلك نوع من الشدة والضغط))[١١].

وفي ضوء ما تقدم من الاقوال والتعريفات للفتنة يمكن تقسيم دلالات الفتنة الاصطلاحية الى دلالتين ليس الا وهما :

الاولى : هي الامتحان .

الثانية : كل دلالة تقوم مقام الشرط المؤدي الى الوقوع في الامتحان وهذه دلالة لا يمكن تحديدها بمفهوم واحد لأنها تشمل مصاديق كثيرة مختلفة للامتحان .

الفتنة بين اللغة والاصطلاح:

لابد ان يكون بين الدلالة اللغوية الحسية والدلالة الاصطلاحية وجه شبه مشترك في المعنى ، فاصل دلالة اللفظ لكل مصطلح معنى محسوس في اول استعماله اللغوي . فالعقل عند العرب مثلا من العقال وهو الحبل الذي تُشدّ بهِ الناقة فقال في اللسان[١٢] : وعقل البعير يعقلُه عقلاً وعقلهُ واعتقلهُ ثنى وظيفهُ مع ذراعه وشدّهما جميعاً في وسط الذراع أي حبس الدابة في مكان وقيّدّها عن الارسال . ولكن عندما نتأمل دلالات العقل اليوم فسوفَ نقفُ امام دلالاتً كثيرة مختلفة تبتعد عن اصل الاستعمال اللغوي . اما اصطلاح الفتنة وهي بمعنى الابتلاء والاختبار والامتحان فيبقى واحداً فالمشترك بين الدلالة المحسوسة والدلالة الاصطلاحية هو اكتشاف الحقيقة فكما ان الذهب الخام يُوضع على النار لمعرفة حقيقتهِ فالفتنة

هي الامتحان لمعرفة حقيقة الايمان . ومن الطريف ان القرآن الكريم يجمع بين الدلالتين ويجعلهما معنىً واحدا في قوله تعالى : ((يوم هم على النار يُفتنون))[١٣].

ولدى التأمل نرى الابتلاء او الاختبار او الامتحان هي الدلالة المحورية في دلالات الفتنة الواردة في القرآن الكريم التي تقوم مقام الاصل لمعنى الفتنة ، فالفتنة هي الامتحان ولابد لهذا الامتحان من مقدمات وشروط وهنا تظهر الدلالات الفرعية الكثيرة المختلفة للفتنة ، ومن الصعب حصرها او إحصاؤها في عدد محدود فقد تصل الى حد التضاد في المعنى فيمكن ان يكون الشر فتنة ويمكن ان يكون الخير فتنة كما في الآية الكريمة : ((ونبلوكم بالشر والخير فتنةً والينا تُرجعون))[١٤] . ويمكن ان يكون الهدى فتنة كما في الآية الكريمة : ((ان هي الا فتنتك تُضل بها من تشاء وتهدي من تشاء))[١٥]. والخلاصة ان للفتنة دلالة حسية هي الاصل في الاستعمال اللغوي عند العرب ولكن يتفرع من هذا الاصل دلالات فرعية كثيرة لمصاديق كثيرة مختلفة في الاستعمال ولكنها تكون بمنزلة شروط ومقدمات يتحقق بها الامتحان.

بين المفهوم والمصداق في نهج الامام :

ان كل الموضوعات التي وردت في نهج البلاغة سواء أكانت دينية أم اجتماعية أم سياسية وغيرها يلاحظ فيها القارئ اسلوب التشخيص للمفاهيم الذي ينقلها من الصورة النظرية الجامدة إلى الصورة العملية الحركية الحية لان الامام علي (عليه السلام) في نهجه العام سواء اكان في الدين ام في الحياة هو نهج عملي لا يتكلم بالمفهوم حتى يرى له مصداقا .

ولا نكاد نطالع عبارة في نهج البلاغة مجردة من الدلالة الحركية المجسدة بمشهد معلوم على أرض الواقع ، وهذا ما تؤكده حكمه القصيرة التي بث فيها روح الحياة العملية التي كان يعيشها هو بكل جوارحه ويريد من الناس ان يعيشوها واقعا مشهودا لا نصا مخطوطا معلقاً في الهواء .

فتناول العلم بالمفهوم الحركي في أقوال كثيرة فهو القائل : (إنكم تجعلون علمكم جهلاً ويقينكم شكاً فلما سأله اصحابه كيف يا امير المؤمنين قال : اذا علمتم فأعملوا لان العلم يهتف بالعمل والا عنه ارتحل)[١٦]. وقال في مناسبة اخرى يشير فيها الى مراتب العلم من المفهوم الى المصداق (اوضع العلم ما وقف على اللسان وارفعه ما ظهر في الجوارح والاركان)[١٧] .

ان هذا المصداق لا يختص بجملة او جملتين وخطبة او خطبتين وانما هو نهج الامام في كل خطبة وحكمة .

ومن اقواله في الاخلاق مجسدةً معنى التواضع في صورة حركية (من لان عوده كثفت اغصانه)[١٨].

ويقصد من خلال هذه الحكمة من تواضع لله كثر اصدقاؤه ومحبوه اشارة الى الخير الذي يأتي في الانسان المتواضع كما هو حال الغصن اللين الذي يكون فيه الثمر وليس في الغصن اليابس الميت ، وهذا المعنى وارد في القرآن الكريم وفي الحديث الشريف ولكن ليس بهذه الصورة المفعمة بالحركة والظاهرة المرسومة بمشهد محدد بمصداق ذي ابعاد معلومة بالعيان وبذلك يختلف الامام في التأثير الذي يكون في الشيء المصدق بالعمل لا بالمفهوم وهذا هو نهج الامام الذي تميز به في كل كلامه وخطبه ورسائله وحكمه . والفرق بينه وبين ما ورد في القرآن الكريم والحديث الشريف في معنى التواضع كالفرق بين المفهوم والمصداق . وقد ورد في ذلك الآية الكريمة التي تحكي عن وصية لقمان الحكيم لابنه (ولا تصعر خدك للناس) [١٩] . وفي الحديث الشريف قال رسول الله ((الا اخبركم بمن تحرم عليه النار ؟ قالوا بلا يا رسول الله ، قال : الهين القريب ، اللين السهل)) [٢٠] .

بين التشخيص والمصداق :

فالملاحظ على الآية الكريمة المذكورة والحديث الشريف المذكور تعريف بالحقيقة يدور حول المفهوم والملاحظ على قول الامام تعريف يدور حول المصداق وهو ما يريد الباحث ان يصطلح عليه بالتشخيص تعبيراً يجعل للمفاهيم البلاغية صفات الاحياء في تمام دلالتها الحركية المشهودة للتأثير في نفس السامع المخاطب مما يعطي للتكليف حجةً أظهر وبياناً أوضح .

والتشخيص[٢١] في نهج البلاغة بصورة عامة هو تجسيد او تجسيم كما يراه بعض الباحثين يعني إضفاء صفات الأحياء على الحقائق المعنوية كما ورد في تشخيص كل من الحق والباطل بصورة الكائن الحي .

فالحق كائن حي تنطبق عليه صفات الاحياء والباطل كذلك في قوله (عليه السلام) (فلأنقبنّ الباطل حتى يخرج الحق من جنبه [٢٢] .

فالنقب احداث فجوة تتسع لا خراج شيء ما وهذا التعبير بالمعنى الحسي والصورة ذات الابعاد المحددة يدل على ان الباطل والحق كائنان حيان مجسدان في صورة محسوسة معلومة في الزمان والمكان.

وفي قوله سلام الله عليه (وايم الله لأبقرنّ الباطل حتى اخرج الحق من خاصرته) [٢٣]. وفي هذا القول تكون الصورة ادق واوضح في تشخيص المفهوم المعنوي وتحويله الى مصداق حسي يصرف الذهن الى مشهد وواقع بكل ابعاده وحدوده . وهذا الأُسلوب البلاغي المؤثر يصدر عن معين من بلاغة القرآن الكريم بوصفه المرجع الاعلى في البلاغة العربية ولكن يزيد عليه الامام بشيء من تشخيص الحقيقة

المعنوية بصور حسية معلومة في الواقع كما يفصل المجمل ويخصص العام ويقيد المطلق[٢٤] في اصطلاحات علوم القرآن المتعارف عليها عند اهل التفسير والتأويل .

الدلالة البلاغية:

تبدو الصور البيانية في كلام الامام أمير المؤمنين – عليه السلام – في أبلغ تعبير عربي مبين تتفجّر الحكمة من نواحيه وينطق عن البلاغة في اعلى مراتبها حتى قيل فيه : انه : (دون كلام الخالق وفوق كلام المخلوقين) [٢٥].

ومن الصعب ان لم يكن من المُتَعذَّر على الباحث في بلاغته وفصاحته وبيانه أن يختار موطناً أبدع فيه دون آخر لأن كلام الامام كله كما سُمي نهجاً للبلاغة يُصدّق بعضه بعضاً في قالبه اللفظي الأنيق وباطنه المعنوي العميق.

وفي حديثه عن الفتنة بكل دلالاتها استعمل الامام مُبدعاً الفنون البلاغية بقِسْميها اللفظي والمعنوي فكانت وسيلةً مُثلى لبلوغ المقصد ومفتاحاً لفهم المعنى المراد وتقريبه الى الذهن وتأثيره في النفس. وكان للتشبيه والاستعارة النصيب الاوفر في حديثه.

أولاً: التشبيه.

استعان الامام في تشبيهاته للفتنة بما هو راسخ في الذاكرة والوجدان عند العرب من الحقائق المحسوسة الملازمة لهم في حَلَّهم وتَرحالهم. وهي الليل ، والمرأة ، والبحر ، والنار والناقة ، والفرس. وفي كل تشبيه يرسم لنا مشهداً من الواقع الذي كان يعيشه في حياته.

ففي تشبيه الفتنة بالليل يقول :

(فتنٌ كقطع الليل المظلم لا تقوم لها قائمة ولا تُردُّ لها راية تأتيكم مذمومةً مرحولةً يحفزها قائدها ويُجهدها راكبها)[٢٦]

وقوله من خطبة اخرى:(عُقدّت رايات الفتن المعضلة وأقبلْنَ كالليل المظلم والبحر الملتطم ..) [٢٧].

وأما تشبيهها بالناقة وفصيلها ففي قوله : (كن في الفتنة كأبن اللبون \الا ظهر فيرُكب ولا ضرع فيحلب) [٢٨].

وفي قوله من خطبةٍ له : (أيها الناس شقوا أمواج الفتن بسفن النجاة وعَرِّجوا عن طريق المنافرة وضعوا تيجان المفاخرة)[٢٩] .

حيث استعار للفتنة البحر وذكر بعض لوازمه وهي الامواج فهي استعارة مكنية وقوله من خطبةٍ له : (.. قد خاضوا بحار الفتن وأخذوا بالبدع دون السنن ، وأرز المؤمنون ونطق الضالّون المكذبّون ..)[٣٠] .

حيث استعار للفتنة البحر وذكره صريحاً أو هو تشبيه بليغ يكون فيه المشبه به مضافاً والمشبه مضافاً اليه نظير قول الشاعر(٣١):

والريح تعبثُ بالغصون وقد جرى

ذهب الأصيل على لُجيْن الماء

أي وقت الأصيل الذي يُشبه الذهب اصفراراً وهو لون شعاع الشمس في هذا الوقت وهو يجري على الماء الذي يُشبه اللّجَين – وهي الفضة – بياضاً ، وهذا من أرقى أنواع التشبيه البليغ في البلاغة العربية.

وفي هذه الأمثلة المتقدمة تتجلى بلاغة الإمام في التشبيه من حيث اختياره للمشبه به وتأكيده على الحقيقة المحسوسة المشهودة له تعريفاً وتشخيصاً لما يريد التعريف به من الحقائق المعقولة للفتنة.

أما وجه الشبه بين المشبه والمشبه به فيتجلى واضحاً في الدلالة المحسوسة المشاركة بينهما والتي لا تحتاج الى كَدّ الذهن أو جُهدٍ في التفكير ، وهما: الظلمة التي تُقابل الالتباس أو الشُبهة التي تعمى فيها البصائر في الفتن كما تعمى الأبصار في الليل المظلم . والثانية هي الاضطراب الذي قد يؤدي الى التهلكة كما قد يحدث لراكب السفينة في البحر الهائج المتلاطم الأمواج . وتشبيه الإمام هنا لم يكن مُعقّداً أو غامضاً وليس فيه أيُّ أثرٍ للتكلف الممقوت وهو من النوع الذي يُصطلح عليه عند البلاغيين بتشبيه مفرد بمفرد كتشبيه الفتنة بالليل والبحر وتشبيه مفرد بمركب كتشبيه الفتنة أو الواقع في الفتنة بابن اللبون وهو ولد الناقة الذي لا يُطمع فيه اذ لا يصلح ظهره للركوب وليس فيه ضرْع يدرّ باللبن ، فوجه الشبه هنا صورة مركبة تنبض بالحركة وتدل على المعنى العقلي المراد بما هو محسوس ومنطبع في الذهن.

ثانيا: الاستعارة :

الاستعارة هي تشبيه بليغ حُذف أحد طرفيه وهو المشبَّه وقد استأثرت بالاهتمام البالغ في أدب الامام في نهج البلاغة فاستعار (عليه السلام) للفتنة مصاديق محسوسة راسخة في وجدان العرب والمسلمين كما في قوله

من خطبه له : (في فتنٍ داستهم بأخفافها ووطئتهم بأظلافها وقامتْ على سنابكها فهم فيها تائهون حائرون جاهلون مفتونون)(٣٢).

حيث استعار للفتنة الناقة والبقرة والفرس كما دلَّ عليها ذكرُ بعض لوازمها فالأظلاف للبقرة والاخفاف للناقة والسنابك للفرس وهي استعارة مكنية.

وقوله من خطبةٍ له: (ولا تفتحموا ما استقبلتم من فور نار الفتنة وأميطوا عن سَننها ..)(٣٣) .

حيث استعار للفتنة النار على سبيل التشبيه الذي يكون فيه المشبه به مضافاً والمشبه مضافاً اليه وهذا كسابقه من أرقى انواع التشبيه.

وفي قوله : (فور نار الفتنة) استعارة مكنية اذ استعار للفتنة النار وذكر بعض لوازمها وهو الفورَان.

وقوله من خطبةٍ له :(أيها الناس فاني فقأتُ عين الفتنة ولم يكن ليجترىء عليها أَحدُ غيري ..)[٣٤]. حيث استعار للفتنة كائناً حياً وأغلب الظن كما

هو مُستفاد من قرينة الحال انه الناقة فذكر بعض لوازمها وهي العين على سبيل الاستعارة المكنية.

وفي قوله من خطبةٍ له يصف فيها الدنيا (عابسةٌ في وجه طالبها ثمرها الفتنة وطعامها الجيفة..)[٣٥].

حيث استعار للدنيا كائناً حياً والأرجح أنها المرأة كما دلّ عليها قوله (عليه السلام) من خطبةٍ له : (يا دنيا يا دنيا اليك أبي تعرّضتِ أم اليَّ تشوّقتِ لا حان حينك هيهات غُرّي غيري لا حاجة لي فيك قد طلّقتكِ ثلاثاً لا رجعة فيها ..) [٣٦] .

ومن صفات المرأة هذه العُبوس في الوجه على سبيل الاستعارة المكنية ثم كنّى عن الفتنة بالثمرة التي هي بنت الشجرة وهنا استعارة مكنية وكناية في وقتٍ واحد.

وفي قوله من خطبةٍ له : (.. قبل أن تشغر برجلها فتنة تطأ خطامها وتذهب بأحلام قومها ...)[٣٧].

ويحتمل أن تكون الاستعارة في قوله : (تشغر) للكلب والناقة معاً كما تفيد الدلالة المعجمية لهذا الفعل اذ قالوا في معناه : (يُقال شغر الكلب من باب نفع رفع احدى رجليه ليبول – وشغرت الناقة اتسعت في السير وأسرعت)[٣٨]. ولكنْ أقوى الاحتمالين هو الناقة لوجود قرينة لفظية وهي الخِطام (وهو الحبل الذي يوضع على عنق الدابة ويُثنى في خطمها لتنقاد به والخطم هو الجزء العاري المخاطي الذي ينتهي به أنف بعض الحيوانات ولا سيما المجترات : خطم أسد ، خطم ثور ، ، خطْم جمل ، أنف الإنسان..)[٣٩]. ولما كان الخطام بعض لوازم الناقة فالاستعارة مكنية.

وقوله من خطبةٍ له : (واعلم ان البصرة مهبط ابليس ومغرس الفتن)[٤٠]. حيث استعار للفتنة الشجرة وذكر ما ينوب عن المشبه وهي الفتن وعاملها معاملة الشجر الذي من لوازمه ان يكون له مغرس في الارض على سبيل الاستعارة المكنية.

وقوله من خطبةٍ له : (الناس في فتنٍ انجذم فيها حبل الدين وتزعزعت فيها سواري اليقين) [٤١].

ويريد الامام بهذا النص أن يقول : ان حبل الدين قد انجذم بآلة جارحة كالسّكين او ما شابهها. ويمكن أن يُفسَّر قول الامام : (انجذم فيها حبل الدين) أن المقصود بالحبل هو حبل زمام الناقة وهذا يؤدي الى استعارة الناقة للدين واستعارة الآلة الجارحة للفتنة التي قَطَعتْ حبل الناقة وجَعَلتها شاردة وهائجة تخبط خبطَ عشواء في الارض البعيدة ومن الصعب ادراكها او السيطرة عليها.

وقوله من خطبة له : (عَضَّتْ الفتنة أبناءها بأنيابها وماجتْ الحرب بأمواجها) [٤٢].

وقوله : (تأتيكم مذمومةً مرحولةً يحفزها قائدها ويُجهدها راكبها)[٤٣].

وفي هذين النصين استعار الامام للفتن الناقة والدلالة واضحة بعد التأمل في الاستعارة المكنية في النص الاول والاستعارة التصريحية في النص الثاني.

ولعلَّ تشبيه الامام بالناقة وتكرار هذا التشبيه بصورة ملحوظة مُلحّة يعود الى وجه الشبه المشترك بين الفتنة والناقة التي هي عماد معيشة العرب والمُعوَّل عليها في حياتهم والفتنة تحتاج الى من يخمدها ويُطفئ نارها ويقضي عليها كما تحتاج الناقة الى من يقودها ويملك زمامها ويُحسن رفقتها ويحمل عليها أهله ومتاعه بما تُطيق لهذا السبب نرى ورود تشبيه واستعارة الناقة للفتنة مُهَيْمناً على كل تشبيه واستعارة في خطبه وكتبه وحكمه المأثورة.

وللإمام موقف من الناقة يختصر فيه أمر الخلافة التي هي حق شرعي الهي لأهل البيت – عليهم السلام – وكيف ستعود اليهم باختيارها بعد طول امتناع فيقول : (لتعطفنَّ علينا الدنيا بعد شماسها عطف الضروس على ولدها..) [٤٤]. والضروس هي الناقة التي تمتنع عن الانقياد لسائقها وحاديها كامتناع الدنيا عن قيادة أهل البيت لأهلها منذ وفاة الرسول – صلى الله عليه وآله وسلم– ولكن الامام يُبشّر هنا برجوع الحق اليهم في أمر الخلافة بعد طول شِماس (امتناع) وستنقاد الدنيا لهم في آخر الزمان كما تنقاد الناقة الأم لولدها وتستجيب له فتحنو عليه وتسمح له ليرضع حليبها مع قُدرتها على الامتناع عنه الذي لا يمكن لقوة في ذلك الزمان أن تتغلّب عليه.

ان استعانة الامام – عليه السلام– بالناقة في التشبيه والاستعارة دليلٌ على بلاغة الامام وحكمته ونظرته الثاقبة في الكشف عن أسرار العقيدة الاسلامية والتعريف بمفاهيمها المقدسة في أبلغ وأرقى بيان عربي يلجأ اليه – وهو الامام الحكيم – ليحدّث الناس بما يعلمون له مصداقاً مشهوداً على أرض الواقع لا سبيل الى انكاره او الشك فيه طرفة عين ، فكانت الناقة هي المصداق المحسوس المشهود الذي لا يفارق ذاكرة العرب ولا يختلف عليه أحد.

وللرسول الاكرم – صلى الله عليه وآله وسلم– من قبلُ موقف مع الناقة يجسَّد فيه المفهوم الاسلامي الكامل في أروع صورة بلاغية مؤثرة فكان اختياره للناقة مُوفَّقاً في التعريف بالإسلام فيقول في الحديث الشريف : (رأس هذا الامر شهادة أن لا اله الا الله وعموده الصلاة وذروة سنامه الجهاد في سبيل الله...)[٤٥].

ولم يكن من الامام وهو الوصي الا ان يقفو أثر الرسول في كل ما يقول ويفعل فنراه يُكثر من التشبيه بالناقة في مسائل العقيدة المختلفة ولديه خطبتان بعنوان صفات الناقة وهي (الشِّقْشقيّة) [٤٦].

(والقاصعة) [٤٧]، فأما في الشقشقيّة ففيها شكوى الامام بل شكوى الاسلام وكل مسلم من الانحراف عن المسار الصحيح الذي خلّفه الرسول للمسلمين بعد وفاته فيقول في آخرها مُلخّصاً تسميتها (تلك شقشقةٌ هَدَرَت ثم قَرَّتْ)[٤٨] . والطريف ان الامام هنا يُشبه نفسه بالناقة ، فاذا كان الرسول يُلخص الاسلام الصحيح الكامل في مفاهيمه وأحكامه فيُشبّه ثوابته الكبرى بالرأس والعمود والسَّنام فيعطي بذلك مشهداً معلوماً يُذكَّر بالناقة على نحو

الاجمال فان الامام يأتي ليفصَّل ويقيّد هذا المجمل فيذكرهُ صريحاً مُشخَّصا ومُجسّداً بالناقة التي هي خلاصة الدين في وجوده المتكامل الذي لا يقبل الزيادة ولا النقصان. ولما كان تنزيل الاسلام لابد أن يكون له تأويل نرى الامام يعود فيؤكدّ هذه العقيدة الاسلامية مرتين : مرة بحال الناقة التي تمتنع امتناعاً شديداً عن الانقياد الا لولدها ومرةً أخرى يُجسد هذا التأويل المُصدَّق بنفسه الشريفة بوصفه القرآن الحي الناطق والنابض بالحياة والحركة من أجل بقاء الاسلام واحياء أحكامه في كل زمان ومكان.

وأما في الخطبة القاصعة وهي صفة للناقة التي تمرُّ بحالة من الكبْت الذي لابد من التعبير عن وجوده ومحاولة التنفيس عنه ، فيقال : (قصعت الناقة بجرّتها ردّتها الى جوفها وقيل مضغتها بشدة وقصع الماء عطشه سكنه سُمّيت الخطبة بذلك لان الخطبة مل بها فمه ولم يتكلم بتمام ما في صدره من قولهم : قصع الجرح بالدم أي امتلأ ولم يَسل) [٤٩].

ويبدو الامام في هذه الخطبة مُشفقاً على الامة وهو يعتصر ألماً لِما يرى من تسلّط أولياء الشيطان على عباد الرحمن مُحذَّراً من فتنة الكِبْر فانها أشد على الانسان المؤمن من نوائب الدهر فيقول سلام الله عليه : (واستعيذوا بالله من لواقح الكبر كما تستعيذونه من طوارق الدهر فلو رخّص الله في الكِبْر لأحدٍ من عباده لرخّص فيه لخاصة أنبيائه واوليائه ولكنه سبحانه كرّه اليهم التكابر ورضي لهم التواضع فألصقوا بالأرض خدودهم وعفَّروا في التراب وجوههم . وخفضوا أجنحتهم للمؤمنين وكانوا قوماً مستضعفين قد اختبرهم الله بالمخمصة وابتلاهم بالمجهدة وامتحنهم بالمخاوف ومخضهم بالمكاره فلا تعتبروا الرضى والسخط بالمال والولد جهلاً بمواقع الفتنة والاختبار في موضع الغنى والاقتدار..) [٥٠]. وكانت أول فتنة ابليس في الكِبْر لمّا أمره الله سبحانه بالسجود لآدم فلم يحتمل الخضوع وأخذته حميّة الكِبْر والتعصّب لخلقته فكان هذا أساس كل انحراف وفساد في الارض ؛ وهذه الخطبة تلتقي مع الخطبة الشقشقية في احتباس الحقيقة والحاجة لا خراجها والافصاح عنها والتعريف بها والتحذير من شرَّها فكانت فتنة الشيطان المُضل لهذه الامة في الانحراف عن صراطها المستقيم في الامامة وتعطيل دورها في القيادة على ارض الواقع .

الهوامش :

(١) العين ، الفراهيدي ، ص٧٢٩.

(٢) الصحاح ، الجوهري : ٢١٧٦/٦ .

(٣) لسان العرب جذر الفتن ، ابن منظور : ٣١٧/١٣ .

(٤) لسان العرب ، ابن منظور : ٣١٩/١٣.

(٥) مفردات الفاظ القرآن ، الراغب الاصفهاني ، ص٦٢٣.

(٦) الفروق اللغوية ، أبي هلال العسكري ، ص ٣٩٦ .

(٧) لسان العرب ابن منظور : ٣٢٠/١٣ .

(٨) الكشاف ، الزمخشري : ١٩٥/٣ .

(٩) مفردات الفاظ القرآن ، الراغب الاصفهاني : ٣٧٢.

(١٠) في ظلال القرآن ، سيد قطب : ٢٧٢١/٥ .

(١١) الامثل تفسير الاية ١٩٣ البقرة ، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي : ٤٩٥/١.

(١٢) ينظر في لسان العرب: لبن منظور جزء ١٢ ص ٢٥٥

(١٣) الذاريات ، ١٣.

(١٤) الانبياء :٣٥.

(١٥) الاعراف : ١٥٥.

(١٦) نهج البلاغة الامام علي (عليه السلام) حكمه ٣٦٦

(١٧) نهج البلاغة حكمه ٩٢

(١٨) نهج البلاغة حكمه ٢١٤

(١٩) لقمان الآية (١٨)

(٢٠) بحار الانوار للعلامة محمد باقر المجلسي ، ج ٧٢ ، ص ٢٨٨

(٢١) التشخيص هو اسباغ الحياة الانسانية على الاشياء . وقد كثر في الشعر الرومانطيقي حيث يتخيل الشاعر عناصر الطبيعية (الجبال والاشجار والانهار .....) تشاركه مشاعره وتفرح وتحزن لحزنه . انظر في المعجم المفصل في اللغة والأدب ج١ ص ٣٩٢ ، د. اميل بديع يعقوب و د . ميشال عاصي .

(٢٢) نهج البلاغة الخطبة ١٩٠

(٢٣) نهج البلاغة الخطبة ١٣٢

(٢٤) الاطلاق والتقييد في النص القرآني سيروان عبد الزهراء ص ١٥٠

(٢٥) مقدمة شرح نهج البلاغة ، محمد عبده ج١ ، ص٢٤.

(٢٦) نهج البلاغة خطبة ١٠٢.

(٢٧) المصدر نفسه ، خطبة :١٠١.
(٢٨) المصدر نفسه ، حكمة رقم –١–١
(٢٩) نهج البلاغة ، خطبة :٢.
(٣٠) المصدر نفسه. خطبة ١٥٣
(٣١) المصدر نفسه خطية :١٥٤
(٣٢) ديوان ابن خفاجة. لابن الخفاجة الاندلسي ص ١٤
(٣٣) نهج البلاغة ، خطبة : ١٨٧.
(٣٤) المصدر نفسه ، خطبة ٩٣.
(٣٥) نهج البلاغة خطبة ٨٩ .
(٣٦) نهج البلاغة خطبة ١٨٩ .
(٣٧) نهج البلاغة ١٨٩.
(٣٨) مجمع البحرين البحراني شغل باب الراء ، فصل ش. ص ٢٦٠
(٣٩) لسان العرب. ابن منظور خطم ١٢ / ٢٥٤
(٤٠) نهج البلاغة ، كتاب ١٨.
(٤١) المصدر نفسه خطبة :٢.
(٤٢) المصدر نفسه : خطبة :١٠١.
(٤٣) المصدر نفسه، خطبة :١٠١ .
(٤٤) نهج البلاغة ، الحكمة رقم ٢٠٩ .
(٤٥) مسند احمد بن حنبل ، لاحمد بن حنبل ٥/ ٢٢٥.
(٤٦) نهج البلاغة ، خطبة :٣ .
(٤٧) المصدر نفسه خطبة :١٩٠.
(٤٨) المصدر نفسه . الخطبة الشقشقية.
(٤٩) شرح نهج البلاغة المسمى حدائق الحقائق ، للعلامة قطب الدين الكيدري البيهقي : ٣٤٠/٢.
(٥٠) نهج البلاغة ، خطبة ١٩٠ وتسمى القاصعة.

كشاف المصادر والمراجع

اولا : القرآن الكريم

ثانياً : الكتب

١- الاطلاق والتقييد في النص القرآني،د سيروان الجنابي،مطبعة النماء ، الطبعة الاولى، ١٤٣٢ هـ – ٢٠١١ م .

٢- الامثل في تفسير القرآن ، ناصر مكارم الشيرازي ، المطبعة اميران الناشر مدرسة الامام علي ابن ابي طالب ، المطبعة الثانية ، تاريخ النشر ١٤٢٩ هـ \ ٢٠٠٩م .

٣-بحار الانوار ، الجامعة لدرر اخبار الائمة الاطهار للعلامة محمد باقر المجلسي ، مطبعة الاميرة للطباعة والنشر ، بيروت لبنان ، ١٤٢٩ هـ . ٢٠٠٨ م .

٤-ديوان ابن خفاجة الأندلسي ، تحقيق عبد الله سندة ، بيروت – لبنان ، دار المعرفة ، الطبعة الأولى ٢٠٠٦ م .

٥-شرح نهج البلاغة ، ابن ابي الحديد محمد ابو الفضل ابراهيم ، دار الكتاب العربي ، بغداد شارع المتنبي ، الطبعة الأولى ١٤٣٠ هـ – ٢٠٠٩ م .

٦-شرح نهج البلاغة ، اكمال الدين ميثم ابن علي ابن ميثم البحراني ت٦٧٩ هـ ، مطبعة العترة ، دار الحبيب ، الطبعة الاولى ١٤٢٨ هـ .

٧-شرح نهج البلاغة ، محمد عبده ، مطبعة كرم ، دمشق .

٨-شرح نهج البلاغة المسمى حدائق الحقائق ، العلامة قطب الدين الكيدري البهيقي ، تحقيق الشيخ عزيز الله العطاردي ، مطبعة الاعتماد ، قم المقدسة ، الطبعتة الأولى ١٤١٦ هـ .

٩-الصحاح ، ابن نصر اسماعيل ابن حماد الجوهري ، تحقيق شهاب الدين ابو عمرو ، بيروت – لبنان ، الطبعة الأولى ١٤١٨ هـ – ١٩٩٨ م.

١٠- العين ، الخليل بن احمد الفراهيدي ، بيروت لبنان .

١١- الفروق اللغوية ، ابي هلال العسكري ، تحقيق مؤسسة النشر الاسلامي ، الطبعة الرابعة .

١٢- في ظلال القرآن ، سيد قطب ، مصر ، دار الشروق ١٩٩٢ م .

١٣- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، ابي القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي ٤٦٧ – ٥٣٨ هـ ، بيروت لبنان ، دار الاحياء للتراث العربي الطبعة الأولى .

١٤- لسان العرب ، ابن منظور ، دار صادر، بيروت للطباعة والنشر ، الطبعة الأولى ١٤١٠ هـ – ١٩٩٠ م .
١٥- مجمع البحرين ، الشيخ فخر الدين الطريحي ١٠٨٥ م ، تحقيق السيد احمد الحسيني ، مطبعة الآداب ، اصدار: دار الكتب العلمية ، مكتبة الوراق النجف الأشرف ، الطبعة المحققة الأولى ١٣٨٦ هـ .
١٦- مسند احمد بن حنبل، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، الطبعة الثانية ١٤١٤ هـ – ١٩٩٤ م .
١٧- المعجم المفصل في اللغة والادب د. اميل بديع يعقوب و د. ميشال عاصي . دار الكتب العلمية للملايين .
١٨- مفردات الفاظ القرآن ، العلامة الراغب الاصفهاني ، تحقيق صفوان عدنان داوودي ، الطبعة الثالثة ، دار القلم ١٤٢٤ هـ ، قم المقدسة.